رهان واشنطن على «الجهاديين المعتدلين».. سياسة واقعية أم خطأ استراتيجي

رسالة تنظيم القاعدة إلى الغرب: دعونا وشأننا ندعكم وشأنكم

تحدثت تقارير إعلامية عن صفقة محتملة بين الولايات المتحدة وما أسمتهم بـ"الجهاديين المعتدلين" لضرب الجماعات المتشددة الأخرى أي تنظيم الدولة الإسلامية في المنطقة، وفيما تعكس الصفقة سياسة أميركية واقعية ستمسح لها بتوفير الأرواح والمال في معركتها ضد الإرهاب وتقويض خطر عدوها اللدود داعش، إلا أنه في المقابل تشكل هذه الصفقة مجازفة محفوفة بالمخاطر، وسط شكوك في مدى التزام هذه الجماعات بها.

واشنطن – توسعت دائرة التوقعات مؤخرا بشأن تعاون محتمل بين الولايات المتحدة والجماعات التي تضعها في خانة "الجهاديين المعتدلين" مثل تنظيم القاعدة وحركة طالبان، وذلك بهدف ضرب الجماعات المتشددة الأخرى أي تنظيم داعش، التي تشكل تهديدا حقيقيا لمصالحها ومصالح الغرب بشكل عام.

ولا تستبعد أوساط سياسية حدوث تفاهم متبادل غير مستقر ولكنه واقعي بين واشنطن وجزء من الحركة الجهادية العالمية، وفيما لن يجرؤ أي من الجانبين على التعبير عنه علنا، لأنه سيسبب غضبا داخليا وخارجيا، إلا أنه يلبي بلا شك مصالحهما.

وكتب لورينزو فيدينو مدير برنامج دراسات التطرف في جامعة جورج واشنطن، في تقريره على مجلة فورين بوليسي أن تهديد الدولة الإسلامية التي لا تزال شديدة العزم على مهاجمة الولايات المتحدة والغرب، يدفع واشنطن للرهان على ما أسمتهم بالجهاديين المعتدلين.

ولاحظ فيدينو كيف باتت واشنطن والقاعدة يتبنيان موقفا أقل عدوانية تجاه بعضهما البعض أعقاب بروز داعش، غير أن هذه الصفقة التي تغاضت فيها واشنطن عن تداعياتها المتعددة وطويلة الأمد، بسبب سياسة واقعية تنتهجها، قد تتحول إلى خطأ استراتيجي، حيث لا يمكن الوثوق في هذه الجماعات ولا بمناوراتها المستقبلية، حسب تقديره.

براغماتية مشتركة

يمكن إرجاع جذور الاتفاق غير المعلن بين واشنطن والقاعدة إلى النصف الثاني من سنة 2014، عندما شكلت واشنطن تحالفا دوليا لمحاربة تنظيم داعش.

وبالنسبة للاستراتيجيين الجهاديين كان السبب المنطقي وراء التدخل الأميركي واضحا: لم تواجه الدولة الإسلامية هجمات عسكرية عندما غزت منطقة بحجم فرنسا بين سوريا والعراق وحكمتها بوحشية القرون الوسطى، ولكنها استُهدفت عندما بدأت قطع رؤوس الغربيين في فيديوهات على غرار أفلام هوليوود واجتذاب الآلاف من المقاتلين الأجانب الغربيين الذين أطلقوا تهديدات ضد بلدانهم الأصلية من أمانة الخلافة.

وكانت جبهة النصرة، فرع تنظيم القاعدة في سوريا وعدوة الدولة الإسلامية اللدودة، منخرطة في نفس الوقت في محاولة للسيطرة على الأراضي. لكن باستثناء بعض الضربات المستهدفة، لم يكن هدف الهجوم العسكري الذي قادته الولايات المتحدة هو الذي أدى في النهاية إلى تركيع الدولة الإسلامية.

وكان الدرس واضحا: ابق بعيدا عن الأعين، لا تقطع رؤوس الغربيين، لا تخطط لشن هجمات في الغرب، وواشنطن ستتركك وشأنك. وهذا بالضبط ما احتاجه فرع القاعدة لتعزيز سيطرته على الأرض.

لورينزو فيدينو

تقسيم الجهاديين إلى معتدلين ومتطرفين هو نهج مضلل

ونتيجة لتبني هذه المقاربة، باتت هيئة تحرير الشام، التي خلفت جبهة النصرة، تسيطر الآن بحكم الأمر الواقع على منطقة إدلب في شمال غرب سوريا. وكشف زعيم هيئة تحرير الشام أبومحمد الجولاني علنا أن زعيم القاعدة أيمن الظواهري، في ذلك الوقت، أرسل إليه "أوامر واضحة بعدم استخدام سوريا نقطة انطلاق لمهاجمة الولايات المتحدة أو أوروبا من أجل عدم تخريب المهمة الحقيقية ضد نظام الرئيس السوري بشار الأسد".

وتأكّد الدرس السوري مؤخرا في أفغانستان. وفسر الفيلق الموالي للقاعدة التطورات الأخيرة في كابول على أنها اعتراف بسياسة الولايات المتحدة غير المعلنة وإن كانت واضحة بشكل متزايد للتسامح بل والتعاون مع الجماعات الجهادية "المعتدلة"، ما دامت لا تهاجم الغرب، هذا على الرغم من معاداتها لحقوق الإنسان وانتهاكها العلني لها.

وفي الوقت الذي احتفل فيه أنصار هيئة تحرير الشام باستيلاء طالبان على السلطة بتوزيع الحلويات على سكان إدلب بسوريا، أشار معلق مقرب من الجماعة إلى ذلك بـ"انتصار الصمود الذي يجب أن يلهمنا"، مشيرا إلى نجاح الإستراتيجية التدريجية التي تستلزم كبح ميلها المتأصل لمهاجمة الولايات المتحدة من أجل الصالح العام المتمثل في تعزيز سلطتها.

وينطبق نفس المنطق على دول غربية أخرى أيضا. ففي الآونة الأخيرة، أعلنت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، التابعة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ومنطقة الساحل لأول مرة صراحة أن حربها المستمرة مع فرنسا لا تشمل الأراضي الفرنسية. وبالمثل، ذكرت القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أنها ستستمر في مهاجمة المصالح الفرنسية في المنطقة، لكنها أعلنت أنها لن تستهدف الأراضي الفرنسية أبدا انطلاقا من مالي.

وتعتبر رسالة جماعات القاعدة إلى الغرب واضحة وتشبه رسالة حليفتها طالبان "دعنا وشأننا ندعك وشأنك. نحن نعلم أنك تريد الخروج من المنطقة ولم تعد مهتمّا بالتضحية بحياتك وأموالك للدفاع عن مناطق نائية محدودة الأهمية إستراتيجيا بالنسبة لك. اسمح لنا أن نحكمهم ولن نضايقك. وعلى العكس من ذلك، سنساعدك في الواقع على تحييد المجموعة الوحيدة التي تهددك، الدولة الإسلامية، التي هي عدوتنا اللدودة أيضا. نعم، سندينكم في دعايتنا لدعمكم لإسرائيل والأنظمة الأخرى في المنطقة أو للإساءة إلى النبي محمد. لكننا أصبحنا فاعلين سياسيين براغماتيين ومستعدين لعقد صفقة معك تسمح لك بالخروج من أجزاء كبيرة من المنطقة دون أي عواقب سلبية".

من الواضح أن شروط الصفقة لم يُعبّر عنها بكلمات واضحة، لأن ذلك من شأنه أن يصبّ في صالح دعاة الدولة الإسلامية، الذين يتهمون بالفعل القاعدة وطالبان بأنهما متعاونان مع الولايات المتحدة وعميلان تخليا عن طريق الجهاد الحقيقي، وهي اتهامات يمكن أن تكون تكلفتها باهظة في السوق التنافسي للدعم الجهادي. لكنها واضحة وضوح الشمس لأولئك الذين يولونها اهتمامهم ومغرية للكثيرين في الولايات المتحدة، حيث ضاق الناس بحرب على الإرهاب على مدى عقدين والمحاولات الفاشلة لبناء الدولة بين صانعي السياسة من الحزبين وعامة الناس بصفة عامة.

واشنطن تستثمر العداء الشديد بين داعش وطالبان

تكلفة باهظة للصفقة

لا يجرؤ إلا القليل في واشنطن على التعبير عن ذلك بهذه العبارات لكن الصفقة التي تسمح للولايات المتحدة بتوفير الأرواح والمال من خلال تكليف "الجهاديين المعتدلين" بحكم المساحات التي يبدو أنها لا يمكن أن تحكمها أي قوة أخرى هي شكل من أشكال السياسة الواقعية التي تستهوي الكثيرين.

وبرأي فيدينو "هناك أسباب وجيهة لتهدئة الحماسة لهذه الصفقة مع الشيطان"، حيث لا يعني ذلك نهاية الإرهاب في الغرب، حسب تقديره.

فعلى مدى السنوات العشر الماضية، نَفّذ الغالبية العظمى من الهجمات ذات الدوافع الجهادية في أوروبا وأميركا جهاديون منتسبين للدولة الإسلامية أو مؤيديها. أما تلك التي نفذها أفراد مرتبطون بالقاعدة فلا يتجاوز تعدادها أصابع اليد الواحدة. وبما أن الهجمات في الغرب تبقى من الطرق التي تعزز بها الجماعات الجهادية مكانتها بين المؤيدين المحتملين، يمكن القول إن صفقة القاعدة والغرب التي تعزز قدرة التنظيم على حكم مساحات من الأرض قد تدفع الدولة الإسلامية إلى تكثيف هجماتها، التي تعدّ أفضل سلاح للمجموعة لمواجهة نجاحات منافسيها من خلال الدعاية. كما أن فروع القاعدة مرنة ولا تتميز بالرقابة الهرمية الصارمة. وليس من المستبعد ألا تلتزم بعض الجماعات التي تنتمي إليها بشروط الاتفاقية ثم تهاجم الغرب.

بموازاة ذلك، يشعر العديد من شركاء الولايات المتحدة في المنطقة (أولئك الذين يطلق عليهم تنظيم القاعدة كنية "العدو القريب") بالإحباط المتزايد بسبب انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط وما يرون أنه نمط واشنطن في عدم الدفاع عن حلفائها. وسيظل العديد منهم أصدقاء مقربين للولايات المتحدة، لكن من المحتم أن يبحثوا عن شركاء أمنيين إضافيين، إن لم يكن بدلاء. وتعطي انفتاحات دول الخليج التي ظلت على مدى عقود في المعسكر الأميركي الأخيرة تجاه الصين وروسيا أمثلة على هذه الديناميكيات.

وحسب فيدينو الأهم من ذلك، أن العيب القاتل يكمن في الافتراض الأساسي للصفقة. حيث إن تقسيم الحركة الجهادية إلى "معتدلين" (هيئة تحرير الشام وطالبان وحتى القاعدة) يُمكن لواشنطن أن تتعامل معهم و"متطرفين" (الدولة الإسلامية) تعتبرهم العدو الحقيقي الوحيد هو نهج مضلل.

ويعتقد أن هناك تصنيفا أكثر ملاءمة هو بين الجهادية المرحلية والجهادية التي نفد صبرها، فالأولى مستعدة بشكل عملي لثني وضعها الاستراتيجي مؤقتا لتحقيق الأهداف بينما تعتبر الثانية أكثر صلابة. وليس الجهاد التدريجي أكثر اعتدالا ولكنه ببساطة أكثر ذكاء من الناحية التكتيكية، حيث يتكيف على المدى القصير ليكون في وضع أفضل للقيام بما هو موجود بين جميع الجهاديين وهو تحديدا: زعزعة استقرار المنطقة الأكبر ومهاجمة الغرب.

ويستنتج فيدينو في نهاية تقريره أنه لا يوجد فرق بين الاثنين في الأهداف النهائية ولكن في الإطار الزمني. وخلص قائلا "قبل عقد صفقات تبدو مريحة على المدى القصير مع الشيطان، يتعين على صانعي السياسة الغربيين التفكير في ما يتجاوز الإطار الزمني لدورات الأخبار على مدار 24 ساعة والحملات الانتخابية الدائمة إلى سنوات وعقود، كما يفعل الجهاد يون".

المسيحيون واليهود «طابور خامس» في تركيا

تصاعد التمييز الديني ضد الأقليات يكشف زيف دعوات التسامح لحكومة أردوغان

إسطنبول – حذرت أوساط سياسية وإعلامية من تنامي التمييز الديني للأقليات في تركيا وسوء المعاملة الذي تتعرض له في ظل حكومة الرئيس طيب رجب أردوغان.

وكشفت صحيفة كريستيان بوست السبت أن تركيا تزيد من ممارساتها في التمييز في معاملتها للأقليات الدينية.

وأضافت الصحيفة أن دعاة الحرية الدينية يصدرون تحذيرات بشأن معاملة البلاد للأقليات بينما يحثون وزارة الخارجية الأميركية على تصنيف تركيا كدولة تثير القلق بشكل خاص في هذا المجال.

ونقلت الصحيفة عن أيكان إردمير، المدير الأول لبرنامج تركيا في مؤسسة الدفاع "من المتوقع الآن أن تكون القيادة، سواء القيادة الدينية والعلمية للجاليات غير المسلمة في تركيا، لاعبين راغبين وقادرين في تمييز اضطهاد النظام وجرائمه" حسبما ذكره في القمة الوطنية للدفاع عن المسيحيين في واشنطن العاصمة.

سوء معاملة مستمر في حق الأقليات

وتم تصوير المسيحيين واليهود في تركيا من قبل الحكومة التركية على أنهم كتاب الطابور الخامس، لاسيما بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في يوليو 2016.

ومنذ الانقلاب الفاشل، اكتسبت عملية ترحيل قادة الديانات البروتستانتية زخمًا.

ومنذ عام 2016، كثفت أنقرة استخدامها لرمز N-82 – الذي يعتبر الرعايا الأجانب تهديدًا للأمن القومي – لرفض تصاريح الدخول أو الإقامة لقادة الديانات البروتستانتية. وطردت السلطات التركية 30 بروتستانتيًا في عام 2020 و35 في العام السابق، وفقًا لصحيفة التايمز.

وفقًا لإردمير، تُجبر الأقليات الدينية في البلاد على "حضور الاحتفالات أو التوقيع على البيانات أو لعب دور الداعم في محاولات مختلفة لتزيين النوافذ لإظهار أن حكومة أردوغان متسامحة وخيرة وتحتضن الأقليات".

واستشهدت إيمي أوستن هولمز، عضو مجلس العلاقات الخارجية، في حملة دعائية بمثال مسيحي بقي في الخلف لحماية أرض عائلته بينما هرب باقي أفراد الأسرة من مدينة رأس العين السورية التي تحتلها تركيا.

وتسيطر تركيا على مساحات شاسعة من الأراضي في شمال سوريا، حيث تتهم القوات المدعومة من تركيا بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان تستهدف الأقليات.

ودعت هولمز واشنطن إلى "ضمان إمكانية عودة كل من فر من هذه المناطق، واستعادة ممتلكاتهم، والحصول على تعويض عن الممتلكات التي سُرقت أو تضررت".

وتشهد تركيا تناميا للكراهية الدينية التي تستهدف عددا من الديانات والطوائف في ظل تجاهل الحكومة لدعوات مكافحة التطرف والتشدد الديني والتمييز.

وتدعي الحكومة التركية دائما مكافحتها للتطرف والكراهية الدينية والإساءة إلى الطوائف لكن سياساتها مغايرة لتصريحات قادتها.

وأثار أردوغان غضب العالم المسيحي والأقليات المسيحية بعد أن قرر تحويل آيا صوفيا إلى مسجد قبل أكثر من عام.

وكان أردوغان شارك الآلاف من المسلمين في أوّل صلاة تُقام في آيا صوفيا، عقب تحويلها المثير للجدل إلى مسجد وهو ما أغضب المجتمعات المسيحية وأثار انتقادات دول مثل الولايات المتحدة.

لكن تركيا واصلت انتهاكاتها بحق التاريخي المسيحي حيث قررت في ديسمبر الماضي تحويل كنيسة الثالوث الأرمني المقدسة التي تم تجديدها في مقاطعة قونية جنوب وسط البلاد إلى مركز ثقافي.

وتركيا التي تعثرت إمكانية انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي طوال السنوات الماضية، اقتنعت منذ فترة بالبحث عن عمق ثقافي سياسي جديد لها، وباتت تبحث عن تزعم العالم الإسلامي وتريد أن يكون لها دور أوسع في منطقة الشرق الأوسط.

> **الأقليات في تركيا تجبر على حضور الاحتفالات أو التوقيع على البيانات لإظهار أن حكومة أردوغان متسامحة وخيرة وتحتضنهم**

ويسعى أردوغان لاستغلال التيارات الإسلامية المحافظة لتوطيد حكمه وذلك باستهداف الطوائف والأديان كما يسعى لكسب تعاطف القوميين بمعاداة الأكراد. لكن مراقبين يحذرون أن مثل هذه السياسات ستضرب وحدة وتجانس المجتمع التركي وتزيد من التشدد بين شبابه.

واعتبرت صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية في مايو الماضي، أنّه من البديهي الربط بين الاستهداف التركي المنهج لمناطق الأقليات المسيحية والإيزيدية والكردية، والسعي إلى تطهير عرقي وتهجير الأقليات من العراق وسوريا، وكل ذلك بحجة ملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني الذين لم يقوموا بشنّ أيّ هجوم على الأراضي التركية منذ سنوات طويلة.

وأكدت الصحيفة أنّ كل مكان تسيطر عليه المجموعات الموالية لتركيا في شمال سوريا مثل عفرين وإدلب وأماكن أخرى، لا يمكن للأقليات أن تعيش فيه بحرية.

وحول ذلك، قال سيث ج. فرانتزمان، إن أنقرة تواصل حملة قصف على قرى في منطقة كردستان العراق ذات الحكم الذاتي، لتدمر منازل وكنيسة للأقلية المسيحية المحلية. وهو يرى أنّه رغم بقاء القرى الأشورية القديمة صامدة ومتمسكة بهويتها وتاريخها – مثل القوش الواقعة بين دهوك والموصل – فإن القصف التركي زرع عدم الأمان لدى الكثير من أبناء الأقليات في العراق وسوريا والشرق الأوسط.

بدوره، وثّق المعهد الآشوري للسياسات "تمّ تدمير كنيسة مار يوسف الآشورية الشرقية في قرية مسقعة في باروار بشمال العراق في حملة جوية كانت تستهدف ما يشتبه في أنه مواقع لحزب العمال الكردستاني بالمنطقة".